

المقامة البغدادية للوهراني – دراسة سيميائية
al-maqama al-baghdadiya of al-wahrani – semiotic study

الصافي ضيف الله *

¹ جامعة محمد بوضياف (المسيلة)

تاريخ الاستلام : 12 أوت 2022 ؛ تاريخ المراجعة : 30 ديسمبر 2023 ؛ تاريخ القبول : 03 مارس 2024

ملخص:

الوهراني من الأدباء الذين تمكنوا من فن المقامة، لأنه استطاع أن يعالج جوانب مختلفة، بلغة رفيعة وأسلوب ساخر، استغل الوهراني فيها تجربته في المغرب والمشرق، ولهذا أردنا دراسة أحد مقاماته سيميائيا حتى نستخرج دلالاتها، وحتى نتعرف على هذا الأديب.

ومن النتائج التي يمكن أن نخرج بها، أن المقامة البغدادية عكست ظروف عصر الوهراني، خاصة في الجوانب السياسية، وبينت تنوع ثقافته وسعة اطلاعه، كما أن المنهج السيميائي قادر على استخراج مكونات نصوص الوهراني، وهذا لا يعني أن المناهج الأخرى قاصرة، بل كل منهج يركز على جانب ما، وما يميز السيميائية أنها لا تكتفي بالظاهر وإنما تهتم بالتأويل والدلالة.

الكلمات المفتاحية: مقامة؛ وهراني؛ سيميائية؛ سردية؛ دلالة.

Abstract:

Perhaps Al-Wahrani was one of the writers who were able to master the art of the maqamah, because he was able to deal with different aspects, in a high language and in a sarcastic manner, and for this we wanted to study one of his maqamat in order to extract its connotations, and to get to know this writer.

Among the results we extracted is that the Baghdadya al-maqamah reflected the environment of the Al-Wahrani, It showed the diversity of al-Ouhrani's culture and broad knowledge, in addition to the fact that the semiotic method is able to extract the semantics of al-Wahrani's texts.

Keywords: Maqamah; Wahrani; semiotic; Narrative; connotation.

*difallah safi, e-mail: safimask@mail.com.

1- مقدمة:

تعد كتابات محمد بن محرز الوهراني من أهم الإبداعات في الأدب الجزائري، والتي زادت الأدب العربي ثراء، خاصة أنها كانت متنوعة بين منامات ورسائل ومقامات، عالجت موضوعات كثيرة أدبية ودينية وتاريخية واجتماعية وفكرية... ولهذا أردنا دراستها سيميائيا حتى نستخرج دلالاتها، وحتى نزيح اللثام عن هذا الأديب.

إن محمد بن محرز الوهراني من الأدباء الجزائريين المبدعين في القرن السادس الهجري، ويعدّ من الأدباء الذين تمكّنوا من فن المقامة، بحيث يرى فيها عمر بن قينة: ((أنها أول لبنة في هذا النوع الأدبي، في الأدب الجزائري، والرجل إن جاء بعد علمين في هذا الفن بالمشرق العربي، الهمذاني والحريري فقد تميز بعمله، في شخوصه وأحداثه وحتى أسلوبه، وبلغته المختلفة المستويات، بمفرداتها نفسها، من هنا كان إبداع ابن محرز الوهراني جديرا بالتقدير، لأنه عكس جانبا من حياة عصره فقط بل لأنه أسهم في إعطاء دفع متميز للأسلوب في الأدب العربي، لقد كانت مقامات ابن محرز الوهراني في القرن السادس الهجري تجربة أولى أصيلة بهذا الفن في الأدب الجزائري، وقفت في مستوى التجارب الأولى بالمشرق العربي، لكنها تميزت بنكهتها الخاصة، وتجاوزها الرتبة وتنوعها في الشخصيات، من دون البقاء في أسر النمطية اللفظية والفكرية))¹.

وللأمانة العلمية نذكر الدراسات التي أمكننا الإطلاع عليها، والتي سبقتنا إلى الخوض في غمار هذا الموضوع، مع الإشارة إلى أنها تختلف عن منهجنا في الدراسة: الأولى رسالة ماجستير بعنوان "التناسق في منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" للطالبة سوميشة خلوي، وهي دراسة أدبية مقارنة، والثانية عبارة عن رسالتي ماستر، أحدهما بعنوان "مقامات ابن محرز الوهراني دراسة في البنية والأسلوب" للطالبتين بوحلاسي جلييلة والحطابي سامية، والأخرى للطالبتين خولة حمامي ومريم قريوي بعنوان "شعرية الأسلوب في مقامات الوهراني". وهما عبارة عن دراسة أسلوبية بحثية.

أما فيما يخص منهج الدراسة فلقد حققت السيميائيات السردية narrative Sémiotique قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة والتجليات اللسانية بعمامة، ولقد اختلف الدارسون في طرق التحليل السيميائي للنصوص، وانطلاقا من فرضياتهم سنعاول دراسة نص المقامة البغدادية في مستواه السطحي والعميق، عبر مختلف المكونات السردية والخطابية والدلالية والمنطقية، من أجل تبين العلاقات التي تربط بين عناصر النص وتنتج المعنى. واعتمدنا في بحثنا على خطوات، فقد بدأنا بسيميائية العنوان، ثم حللنا النص وفق ثلاث بنيات، الأولى بنية التجلي Manifestation وهي عبارة عن تلخيص لمضمون النص، أما الثانية هي البنية السطحية Structure de surface وتنقسم بدورها إلى قسمين: الأول هو المكون السردية Composante narrative، وتناولنا فيه البنية العاملة Structure actancielle والبرنامج السردية le programme narratif، والثاني هو المكون الخطابي Composante rhétorique وتناولنا فيه سيميائية اللغة والشخصيات والفضاء والزمن، أما الثالثة فهي البنية العميقة Structure profonde ودرسنا فيها المستوى الدلالي Niveau sémantique، بحيث قسمنا النص إلى حقول دلالية، ثم المستوى المنطقي Niveau logique وهو أكثر تجريدا ووزعنا فيه الوحدات السيميائية الدالة والثنائيات المتشاكلة والمتباينة على المربعات السيميائية Carrés sémiotique، لنهي بحثنا بخاتمة احتوت على النتائج التي خرجنا بها.

إذن من خلال ما سبق، ما الذي يميز مقامات الوهراني؟ فيمكن أن يكون الذي ميّزها هو أسلوب الوهراني في حد ذاته، فبالإضافة إلى مخيلته الواسعة، واختلاف جوانب ثقافته، فنجد له الكثير من الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث الشريف، والاستشهادات من الأشعار والأمثال، والتناسبات بين مقاماته ومقامات الهمذاني، كما أنه تأثر بالجاحظ في أسلوبه الساخر، إلا أنه أبدع عندما جمع بين هذا الكم الزاخر، وأصبح له طابع خاص وطريقة متميزة في معالجته لمواضيعه.

2- تعريف المقامة:

جاء في لسان العرب: ((هي المجلس أو الجماعة من الناس))²، ثم بعد ذلك أصبحت تدل على تلك الأخبار التي تجري بين الجماعة في ذلك المجلس، وفي ذلك يقول شوقي ضيف: ((ولما كانت مجالس الناس تحتم وجود أحاديث في موضوعات كثيرة أصبحت الدلالة الاصطلاحية للمقامة لا تحيل على المجلس مباشرة بل على الأحاديث التي تلقى فيه))³، ولكننا نلاحظ أن هذا المفهوم تطور أيضاً، وذلك بتطور الأحاديث التي كانت تجري في تلك المجالس، والتي أصبحت تقترب من السرد القصصي، يقول عبد الله إبراهيم: ((وكانت تلك الأحاديث تعنى أول الأمر بقضايا الدين من نصيح وإرشاد ووعظ، ، قبل أن تنتظم في نمط من الأحاديث التي تتميز بقواعد محددة سواء في شكل الإسناد أم تركيب المتن، لم تعد المقامة وقد استقامت نوعاً قصصياً تقتزن بالحديث ذلك أنها أصبحت تحيل على وقائع متخيلة مسندة إلى راوٍ وهمي يختلق متناً وهمياً))⁴، بمعنى أن المقامة أصبحت فناً له قواعده وخصائصه وأسلوبه وأمور اللغة من ألفاظ ومرويات لغوية، ووقائع التاريخ كأيام العرب وحروبهم وأخبار خلفائهم وولاتهم.

3- نبذة عن محمد ابن محرز الوهراني:

يبدو أن أقدم مصدر ترجم للوهراني هو كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، يقول صاحبه: ((أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين، وقيل جمال الدين، أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين (564-589هـ)، رحمه الله تعالى، وفته الذي يمتّ به صناعة الإنشاء، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل (529-596هـ) و عماد الدين الأصماني (519-597هـ) الكاتب وتلك الحلبة، علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمناً، وتولى الخطابة بداريا، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة، وتوفي في سنة خمسة وسبعين وخمسائة بداريا، رحمه الله تعالى، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني. نقلت من خط القاضي الفاضل: وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني)⁵. ومن خلال هذا التعريف يظهر أن الوهراني شخصية متعددة المواهب، فهو أديب وفقه، كما لاحظنا أن ابن خلكان رد سبب كتابات الوهراني الهزلية إلى عدم مقدرة على مجازاة بعض الأدباء في عصره أمثال القاضي الفاضل-ولكن قد لا يكون هذا هو السبب الوحيد لذلك، فيمكن أن الوهراني أراد أن يتميز عن غيره فلجأ إلى ذلك النوع من الكتابة- ثم بعد ذلك يعترف له بخفة روحه، ويثني على المنام الكبير.

4- دراسة المقامة البغدادية :

1.4- تقطيع النص: يمكن تقطيعه إلى قسمين :

*- الأول: يبدأ من: ((قال الوهراني))، في الصفحة 1... إلى قوله: ((جلست أنتظر أيام الحج))، في نفس الصفحة، ويصف فيه حالته وظروف سفره .

*- الثاني: من قوله: ((شأقت نفسي إلى محادثة العقلاء)) في الصفحة 2... إلى نهاية النص في الصفحة 9، وهو عبارة عن حوار دار بين الوهراني وشخصية أبي المعالي حول الأوضاع السياسية في المغرب والمشرق العربيين .

2.4- بنية التجلي:

تبدأ المقامة بالبسملة ثم ينسب الوهراني الكلام لنفسه على أنه راوي أحداث المقامة، و يحدد موضوع المقامة بأنه وصف لبغداد ولسفرته إليها ومدح لخليفته.

ثم يبدأ السرد ، و يظهر هنا أنه بطل القصة بحيث يصور أولاً سبب سفره وظروف رحلته، من سوء الأوضاع في بلده والصراع حول الحكم، وحاجته إلى المال وجعله لأدبه وسيلة للتكسب، ثم يبين لنا معاناته في سفره إلى بغداد التي ستعجبه ويمكث فيها ينتظر أيام الحج .

ويشتاق إلى محادثة الفضلاء فيرشده أحدهم إلى الشيخ أبي المعالي، فيحاوره عن الأوضاع في المغرب العربي ومن خلالها عبر الوهراني عن ولاته للمرابطين وتبرمه من حكم الموحدين ، ثم يسأله عن ملوك صقلية وعن الدولة المصرية والخلافة الفاطمية ، وهنا يظهر الوهراني بمظهر العارف بأحوال عصره، فتحدث عن دخول الإفرنج لمصر أثناء الحكم الفاطمي، ليحررها الملك المنصور ويأتي بعده صلاح الدين. وبذلك تتأسس الدولة الأيوبية التي أعادت الخلافة العباسية، ثم يبدأ الوهراني في سؤال صاحبه عن سيرة الإمام علي، والوزير عضد الدين ومدى كرمه، ويختتمها بمدح جلال الدين صاحب الديوان ، إذن فأغلب هذه المقامة أسئلة وأجوبة تعبر في جلها عن آراء سياسية .

3.4- البنية السطحية:

1.3.4- المكون السردى:

في النص الكثير من الأحداث والأفعال تتخللها الكثير من الحالات والتحويلات، وحتى نحللها يجب دراسة البنية العاملة وكذا البرنامج السردى، واستعنا بتعريف غريماس لهذين المفهومين، بحيث ينظر إلى النموذج العاملي وفق ثلاثة أزواج:

((المرسل/المرسل إليه: أو محور التواصل: ودور العامل المرسل هو إقناع العامل الذات بالبحث عن موضوع القيمة، أما المرسل إليه فهو المستفيد من الموضوع. الذات/الموضوع: يشكل هذا الزوج قطب الرحى في النموذج العاملي، إذ يشكلان محور الرغبة، أي أن الذات ترغب في الحصول على موضوع القيمة، ويكون هذا بعد إقناع الذات من قبل المرسل، أما الموضوع فهو المرغوب فيه من قبل الذات. المساعد/المعاكس أو المعارض: يشكلان محور الصراع، فالمساعد يساعد العامل الذات في البحث عن موضوع القيمة، أما المعاكس فيعيق الذات في الحصول على موضوع القيمة. إن النموذج العاملي بوصفه نسقا، بنية ساكنة، ولا يتم تحريكها إلا من خلال العبور من النسق إلى الإجراء عبر برنامج سردي من أربعة مراحل: التحفيز أو الإيعاز: حيث يتم إقناع العامل الذات من قبل المرسل بالبحث عن موضوع القيمة، ويقوم العامل الذات بتأويل هذا العمل الإقناعي. القدرة أو الكفاءة: إن الإقناع والاقتناع ليسا كافيين لتحقيق الرغبة، بل لابد من تحقق القدرة، أي الشروط الضرورية لتحقيق الإنجاز. وتتلخص في إرادة الفعل، والقدرة على الفعل ووجوب الفعل ومعرفة الفعل. الإنجاز: وهو كل عملية تحقق تحولا لحالة، وهذه العملية تقتضي عاملا هو الفاعل الإجرائي، إننا ننتقل مما هو محين إلى ما هو محقق ، والتحقيق يتطلب برنامجا أساسا هدفه الحصول على موضوع القيمة، غير أن تحقيق الرغبة خاضع للبنية الجدلية التي تحكم النموذج العاملي، إذ نجد برنامجا مضادا يقوم به فاعل إجرائي مضاد. الجزء: إنه الحكم على الإنجاز، فالمرسل هو الذي يحكم على نجاح البرنامج السردى أو فشله، باعتباره فاعلا تأويليا)).6.

نبدأه بذكر حالة العامل الذات (الوهراني)، فهو كان في انفصال عن العامل الموضوع (بغداد)، ورغب في الاتصال به، فسافر إليه ومرت عليه أحداث كثيرة يمكن اعتبارها معيقات أو عوامل معارضة تصارع معها الوهراني قبل أن يحقق تلك الرغبة، ويبدو أنه جرى بعض التحول في حالة الوهراني عندما وصل إلى مبتغاه ونال المكانة عند جلال الدين صاحب الديوان الذي أغناه بخيره ولم يحوجه لغيره، ويمكن اعتبار هذا الأخير عاملا مساعدا بفعله ذلك

، وأيضاً يوجد عامل مساعد آخر هو أحد السادة الموالي والذي دل الوهراني على الشيخ أبي المعالي، فأصبحت هذه الشخصية الأخيرة موضوع قيمة، وعندما اتصل بها الوهراني تبادل معها الأدوار من مرسل ومرسل إليه، من خلال علاقة التواصل والحوارات التي دارت بينهما.

ولقد تحقق البرنامج السردى من خلال توفر عناصر هي :

- الإيعاز : بحيث توجد أسباب دفعت العامل الذات إلى سفره منها اضطراب الحال في بلده بالمغرب و حاجته إلى المال.

- الكفاءة: وتمثلت فيما يحمله من علم وأدب.

- الإنجاز: وهي الأحداث التي فعلها العامل الذات حتى يصل إلى العامل الموضوع.

- الجزاء : بحيث توصل الوهراني مبدئياً إلى ما يريده.

2.3.4- المكون الخطابي:

أ- سيميائية اللغة: وسنتناول فيها أهم الخصائص الأسلوبية ودلالة توظيفها منها استخدام السجع مثل : مصيب / نصيب ، دهرك / ظهرك ، الضرر / المر...

وذلك من أجل أن يظهر الوهراني براعته وثروته اللغوية ، مما يضفي أيضاً نوعاً من الإيقاع الموسيقي، أما الجنس والطباق فهما قليلان ، من أمثلة الجنس : دستها / جستها ، سياسته / رياسته ، علمه / حلمه ، والطباق مثل: النعيم / الجحيم ، الملك / المملوك ، الموحدين / المشركين.

والمقامة كلها مبنية على الأسئلة والأجوبة مما جعل الكاتب يوظف الاستفهام بمختلف أدواته مثل: من أي البلاد خرجت؟ فما تقول في...؟ أي الدول تجهل وعن أيها تسأل؟ كيف معرفتك بدهرك؟...الخ.

كما نجد بعض الأساليب الشرطية مثل: ((إذا هزمت... رموها))، ((لما أحان الله حينهم أظهر شينهم))، ((لو قصدت باب الوزير لأمطرك)).

ولقد أكثر الوهراني من حروف الربط التي حققت الاتساق والانسجام بين ألفاظ النص ومعانيه، خاصة الواو الدالة على الجمع بين المتعاطفين، والفاء الدالة على الترتيب أو الاستئناف مثل: فما، فقصدت ، فرأيت ، فدلني...، والكاف الدالة على التشبيه مثل: كالجارية ، كالبقعة، كمثل...

وشيء آخر هو كثرة الاستشهاد بالشعر فمرة ينسبه إلى نفسه مثل قوله: ((وأنشدهم بعض خدمهم في ذلك المقام في التهاني للخدام الوهراني))، ومرة لغيره مثل: ((وأنشدتك في الملا قول الشيخ أبي العلا))، ومرة يورد الشعر بدون ذكر قائله.

والاقتباس من القرآن مثل قوله: طي السجل للكتاب، مأخوذ من قوله تعالى: (كطي السجل للكتب)7، ومثل: ادخلوا مصر إن شاء الله آمين)8، (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)9، مما يدل على الحجاج والتأكيد على الفكرة.

ولقد نوع الوهراني في استعمال الضمائر، خاصة السرد بضمير المتكلم مثل: ألقيت ، قلت ، طففتها... ب- سيميائية الشخصيات:

- سيميائية الأسماء: تمثلت الشخصيات المشاركة في أحداث المقامة في شخصيتين رئيسيتين هما الوهراني وأبي المعالي، وشخصيتين ثانويتين هما أحد السادة الموالي و جلال الدين صاحب الديوان، أما باقي الشخصيات المذكورة فتدخل ضمن ما تحدثت به الشخصيتان الرئيسيتان مثل : رجال الفرنج الذين احتلوا مصر، و الملك المنصور الذي استنجد به المسلمون، و الملك صلاح الدين الذي أنهى ما بدأ به عمه المنصور، و نجم الدين والد صلاح الدين الذي رفعه ابنه على العرش فأرأسى قواعد الإسلام ووالى بني العباس .

واسم أبي المعالي يدل على الرفعة والسمو ولهذا وصف الوهراني صاحبه بالعلم والمعرفة، قال عنه محققا الكتاب "أنه غالبا أبو المعالي الكتبي المتوفي سنة 568" 10.

أما شخصية أحد السادة الموالي فيدل هذا اللقب على السيادة والرفعة، جاء في المنجد الأبجدي: (الموالي: ((نوع من الشعر كانوا يتغنون به، وكانوا يقولون في آخر كل صوت منه يا مواليا إشارة إلى سادتهم)) 11، كما ذكر القلقشندي أن لفظة المولى: ((من ألقاب الكتاب وأكثر ما يجري ذلك في تعيين كاتب السر ونحوه فيقال المولى فلان الدين والمراد هنا السيد... قال في "عرف التعريف": المولى لفظ مشترك يقع في اللغة على السيد كما تقدم ويعبر عنه بالمولى من أعلى ويقع على المملوك والعتيق ويعبر عنه بالمولى من أسفل)) 12.

كما وظف الوهراني بعض الأسماء توظيفا مجازيا، مثل جالوت للدلالة على التجبر والطغيان، ومثل بني الأصفر دلالة على الروم، لأن لون بشرتهم يميل إلى الشقرة.

- سيميائية البناء الداخلي والخارجي للشخصيات: بالنسبة إلى الوصف الخارجي لم يوجد إلا عندما وصف وجه علي رضي الله عنه، بأنه أبهى من البدر ليلة التمام وهو يدل على الحسن والجمال والنور.

أما بالنسبة للوصف الداخلي فمثل وصف أحد الشخصيات لأبي المعالي بأنه من "العقلاء الفضلاء وبأنه بستان الأدب وديوان العرب ويضرب في كل علم بنصيب"، وهي تظهر حسن أخلاقه و غزارة علمه وأدبه، ومثل وصف الوهراني لحالته والظروف الصعبة التي مرت عليه "مقاساة الضر، مكابدة العيش المر، سئمت من الفراق"، ومثل ذكره للبعد الاجتماعي لأحد الشخصيات مثل "أحد السادة الموالي"، ومثل وصف جلال الدين "بكتير الإنصاف وكامل الأوصاف ونجم ذكاء، بحر علم..."

ونفس الحال لبقية الشخصيات، فالبناء الداخلي تمثل جلّه في وصف الجانب الأخلاقي ولم يهتم بالجانب النفسي والشعوري ولا بالجسدي والشكلي.

- الوظائف السردية للشخصيات:

أحد السادة الموالي: فاعل خير، مساعد.

ذوو العقول: الاستنجاد والاستغاثة.

الملك المنصور والناصر: المساعدة.

نجم الدين: موالاة العباسيين، إرساء قواعد الإسلام.

جلال الدين: الكرم والجود والإحسان.

ج- سيميائية الفضاء:

- الفضاء الجغرافي: انتقل الوهراني كما هو موضح في المقامة من المغرب حتى وصل إلى بغداد مروراً طبعاً بعدة بلدان ولكنه لم يصرح بها وإنما قال: ((تقاذفت بي الأمصار حتى قربت من العراق))، ثم ذكر في أثناء سرده بعض الأماكن مثل "مصر، منارة الإسكندرية، ساحل المرية، وهران، تلمسان، فاس، أغمات"، وفي مقام وصفه ذكر بعض الأماكن مثل: "جبل، نجم، بحر". فنلاحظ اتساع الفضاء المكاني الذي يدل على حركة الترحال التي كانت بين المغرب والمشرق من قبل الأدباء خاصة، حتى يجدوا الحظوة والمكانة التي ضنوا أنهم سينالونها هناك.

- الفضاء النصي: يعرفه حميد لحمداني فيقول: ((وهو فضاء مكاني لأنه لا يُشكّل إلا عبر مساحة الكتاب وأبعاده فهو مكان تتحرك فيه عين القارئ)) 13، المقامة البغدادية هي أول نص نجده في النص المطبوع، واستهلكت تسع صفحات إلا أن المحققان كررا نصاً آخر يشبه النص الأول، وبرر ذلك بأنه نسخة مختلفة من حيث الأسلوب والتقديم والتأخير كما أن فيه بعض الزيادات مما لا يمكن دمجه مع النسخة الأصلية، بالإضافة إلى أن هذه النسخة لم ترد في جميع المخطوطات المتوفرة، إلا في نسخة واحدة هي المخطوط الذي بجامعة برنستون. واعتمدنا نحن على النسخة الأولى لأنها الأصلية كما أنها متوفرة على التمهيشات اللازمة التي تساعد على فهم النص.

و الوهراني في سرده يورد الأحداث باختصار، إلا أنه يكثر من الوصف و الحوار و يهتم نوعاً ما بالزخرفة اللفظية، و مع ذلك فالأحداث ثلاثم حجم الكتابة .

- الفضاء الدلالي : يرى حميد لحداني أنه: ((يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكيم وما ينشأ عنها من بُعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام))¹⁴، إذن فهذا المفهوم خاص بما يتخيله المتلقي من خلال لغة السرد، ذلك أن تشخيص المكان في القصة هو الذي يجعل أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع بمعنى يومهم وواقعيتها، إنه يقوم بالدور الذي يقوم به الديكور في المسرح¹⁵. تبدو أحداث و أماكن هذه المقامة واقعية إلا ما أراد الوهراني أن يعطي له دلالة أخرى مثل تسمية بغداد بمدينة السلام و التي تعني حالة الأمن التي كانت تعيشها البلاد، و وصفها بالبحر و الجنة دلالة على اتساعها و كثرة خيراتها ، و مثل وصف مصر بالعجوز المحتالة و الطفلة المختالة و الكاعب الفتانة و الغادة المجانة ، فشبهها بالجارية الحسنة التي طمع فيها الرجال حتى جاء من ينقذها.

د- سيميائية الزمن :

إن العلاقات التي تكون بين المتن القصصي و زمن القراءة و الكتابة و الحكاية و الخطاب هي التي تكوّن الزمن الحكائي، كما أن الزمن أنواع، ينقلها محمد عزام فيقول: ((أول مشكل يصادف الباحث تعدد الأزمنة التي تتداخل في النص الواحد و اختلاف العلاقات الدالة عليها، يرى تودوروف ثلاثة أصناف من الأزمنة هي: زمن القصة: وهو الزمن الخاص بالعالم التخيلي، و زمن الكتابة أو السرد: وهو مرتبط بعملية التلفظ، و زمن القراءة: أي الزمن الضروري لقراءة النص))¹⁶.

- الإشارات الزمنية : و تمثلت في ألفاظ صريحة مثل: "الشتاء ، الصيف ، جمعة ، الأيام ، ليلة ، الأوان ، الأمد ، حين ..."، و أخرى غير صريحة كذكر فترة حكم المرابطين و الموحدون و الفاطميين و الأيوبيين .

- زمن الكتابة أو السرد: لم يوجد زمن مضبوط يحدد متى كتبت هذه المقامة ، و ما يمكن معرفته هو زمن تقريبي فقط نستنتجه من نص المؤلف يتمثل في الفترة التي تلت انتقال الحكم من الفاطميين إلى الأيوبيين في مصر، و انتقاله من المرابطين إلى الموحدون في المغرب، و بالضبط قبل أيام الحج.

- زمن القصة : وهو الزمن الذي جرت فيه الأحداث و مدته، وهو الذي تخيله الكاتب قبل أن يكتبه، و على حسب نص المقامة لم يحدد زمن وقوع القصة و ما يمكن معرفته هو ما ذكرناه في العنصر السابق، أما المدة التي استغرقتها الأحداث فلم تذكر نهائياً .

- زمن القراءة : و يتعلق بحجم النص و فترة قراءته، و نص المقامة ليس بالطويل يمكن أن يقرأ في ظرف عشر دقائق كزمن وسطي على حسب القارئ و درجة ثقافته ، كما أن القراءة الأولية تختلف عن القراءة الثانية .

- زمن الخطاب : سارت أحداث القصة على الخط الطبيعي للزمن ، فلم يبدأ الكاتب من وسط الحكاية أو من نهايتها و إنما كانت مرتبة ترتيباً منطقياً .

- الزمن المنقطع : و تجلّى في ذكر بعض الفترات الزمنية المحدود مثل فترة الحكم المرابطي و الموحد في المغرب و الفاطمي و الأيوبي في مصر .

- الزمن المتعاقب : يعرفه مصطفى عطية جمعة بأنه: ((زمن دائري لا طولي يدور حول نفسه يكرر أحداثه))¹⁷، مثل تعاقب الفصول الأربعة ، و تجلّى في النص بذكر فترة أيام الحج و زماني الصيف و الشتاء .

- علاقة زمن الكتابة بالمتن القصصي : كتب النص في فترة القرن السادس الهجري، و الدافع إليه رغبة الكاتب في إبراز تمكنه اللغوي و المعرفي و تبين رأيه في بعض القضايا السياسية التي تخص أمته.

- علاقة زمن القراءة بالمتن القصصي : و تتمثل في ظروف المتلقين الذين عاصروا الوهراني ، فالمغرب و المشرق العربيين كانا في فترة انقلاب سياسي، و لم يحدد الوهراني متلقياً بعينه و بالتالي يكون القارئ ضمنياً.

- علاقة زمن الحكاية بالمتن القصصي : يوجد تفاوت بينهما فمرة يتلاءمان، و مرة يكون زمن الحكاية أطول من زمن متن السرد، و مرة أخرى بالعكس، مثال الأولى : حكاية الوهراني على دولة المرابطين و الموحدون لاءمت حجم

الصفحات، و مثال الثانية : حكاية سفره اختصرت في متن قصير، و مثال الثالثة حكايته على مصر بحيث كان المتن أطول من زمن الحكاية لأن فيها الكثير من الإطناب.

- العلاقة بين زمني القصة و الخطاب : يتجلى في عناصر هي :

النظام الزمني : من خلال النسق الزمني الذي اتبعه المؤلف في سرده نلاحظ أنه يوجد بعض الاسترجاع لأحداث ماضية، مثل كلامه عن اندثار دولة المرابطين: "يا بعد من مات ، خمدت نارهم و بادت أثارهم ..." ، و مثل كلامه عن دولة كافر صقلية و سيرته في الأيام المتولية .
أما الاستباق فهو قليل إلا في كلام شخصية أبي المعالي عن الوزير عضد الدين، عندما سأله الوهراني عنه ، فقال له : ((والله لو قصدت باب الوزير لمطر من وبله ...))، فقال له الوهراني : ((إذن و الله أشكره شكر الأرض للسماء...))، فهنا أحداث لم تقع و إنما هي تنبؤات لا غير.

الديمومة : و تتمثل في المدة التي استغرقتها أحداث القصة و هي غير محددة ، و كذا معدلات سرعة السرد من خلال بعض التقنيات الحكائية ، كالحذف و الخلاصة المتمثلة في تجاوز بعض الأحداث أو تلخيصها اختصاراً أو لعدم أهميتها، مثل كلام الوهراني عن ظروف سفره فقال: ((فتقلب بي الأعصار و تقاذفت بي الأمصار حتى قربت من العراق))، فهنا لم يذكر تفاصيل تلك الرحلة من المغرب حتى العراق ، و مثل كلامه عن عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين: ((ولكن السكوت عن هذا أنجح و مسالمة الأفاعي أصلح))، فنلاحظ هنا أنه يوجد كلام غير مصرح به يدل على بغضه لهذه الدولة و مؤسسها، و تقنية أخرى هي الوصف فنجد الكثير من المقاطع الوصفية مثل وصفه لبغداد : ((فرايت بحرا لا يعبر زاخره ولا يبصر آخره و جنة أبدع جناها ...))، و وصفه للشيخ أبي المعالي : ((هو بستان الأدب و ديوان العرب...))، و وصفه لمصر: ((عجوز محتالة و طفلة مختالة))، فالوهراني اعتمد على الصور البيانية كالتشبيهات مثل : "كمثل الجنة" ، و النعوت مثل: "البطل المجاهد" ، و الإضافات مثل: "بستان الأدب" ، و كلها تدل على دقة التصوير، رغم أن الإكثار منها قد يخل بالعملية السردية، و من التقنيات الحكائية أيضا المشهد، و المتمثل في الحوار و كله جاء خارجيا بلغة منمقة تعبر عن شخصياتها ، و جرى بين الوهراني و أحد السادة الموالي ، و بينه و بين الشيخ أبي المعالي بحيث كانت الأسئلة مختصرة و الإجابات فيها نوع من الإطناب .

التواتر : و نلاحظ أن أحداث المقامة ليست مكررة فالنص قد حكى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة.

4.4- البنية العميقة:

1.4.4- المستوى الدلالي:

ونتناول فيه أهم الوحدات السيميائية الدالة في النص ، و يمكن أن نقسمها إلى حقول دلالية كالتالي:

أ- حقل التكسب: و تمثلت في بعض العبارات هي: "مذهبات الشعر بضاعتي، حللت ساحته، استمطرت راحته، قرعت بابه، طلبت ثوابه، أخذت سيده، أفرغت جيبه، حلول بابه، استمطار سحابه، الخادم".

ب- الحقل الطبيعي: "بحر، بستان، الشمس، أفلاك، القمر، الرياح، الماء، شعابها، البدر، جبل، سحاب، السماء، الروض، نجم، شجرة".

ج- الحقل الديني: "جنة، جحيم، المتقون، حج، جمعة صلاها أربعاً، الإسلام، دين النبي صلى الله عليه وسلم، الديانة، الإيمان، الآخرة، المشركين، مسيح، مهدي، الله، الاستشهاد بالقرآن والسنة".

د- الحقل السياسي والعسكري: "الملوك، دولة المثلثين، دولة كافر صقلية، الدولة المصرية والخلفاء العلوية، أجنادهم، بني الأصفر، الخلافة، سياسة، رياسة، راية، سيف، رماح، الموحدين ، الرعية، أوطان، الأمراء ، الوزراء، الخليفة".

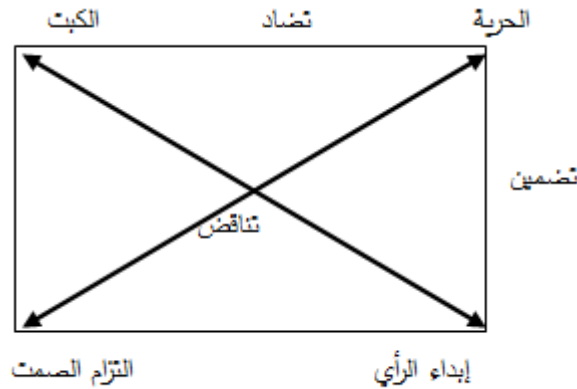
هـ- الحقل الأخلاقي: "الحزم، العزم، السخاء، الحلم، الشهامة، الصرامة، العدل، الأمانة، الصرامة، العدل، المروءة، الفسق، الفجور، الاحتيال، السماحة، الإنصاف، التواضع".

و- الحقل الأدبي: الاستشهاد بالشعر والشعراء، تنويع الأساليب، توظيف الصور والمحسنات.

2.2.4- المستوى المنطقي: من خلال مختلف الوحدات السيميائية في النص وتوسع الدلالات استنتجنا أكثر من

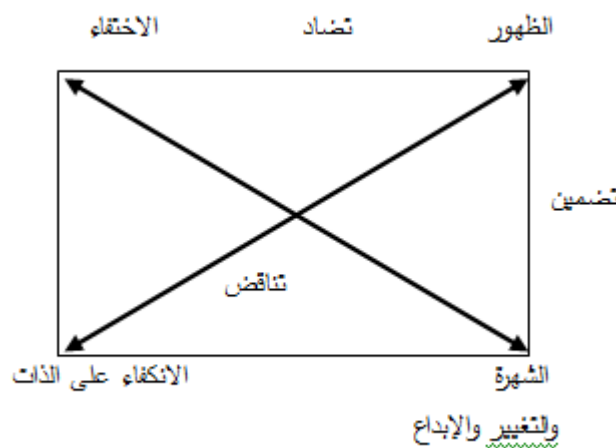
مربع سيميائي، والمتمثلة فيما يلي:

*- الشكل (1). المربع الأول:



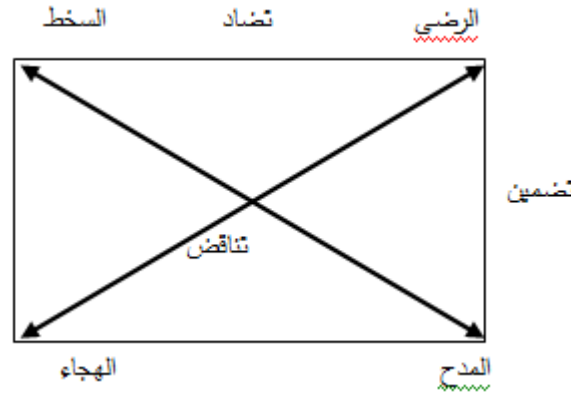
من خلال مختلف العلاقات التي تربط بين عناصر المربع، نلاحظ أن الوهراني كان يبحث عن الحرية والتي تتضمن التعبير عن الرأي، وهي عكس الكبت الذي كان يعيشه بالمغرب، والذي يتضمن التزام الصمت، فلم يستطع البوح بما أراد والاستمرار في تلك الحياة.

*- الشكل (2). المربع الثاني:



إن الوهراني أراد أن يغير نمط حياته ويبدع لكي يشتهر، وبالتالي يظهر على الساحة الأدبية ويعيش حياة كريمة تليق بمقامه، وهو عكس الاختفاء الذي يتضمن الانكفاء على النفس وانتظار القدر، ولهذا فقد تحرك وسافر كأول خطوة للتغيير.

*- الشكل (3). المربع الثالث:



عبر الوهراني عن رضاه من خلال إبداء إعجابه ببغداد والخليفة والحكم الأيوبي، كما عبر عن سخطه من خلال ذمه للحكم الموحيدي والفاطمي، وكخلاصة فالوهراني أراد حياة الاحترام والتقدير وعلو المنزلة والرفاهية، ولكنه لم يحظ بها، فأراد التكسب بأدبه حتى يصل إلى مراده.

5-الخلاصة:

إن المقامة البغدادية ثرية وتحمل الكثير من الدلالة، ومن خلال دراستنا المتواضعة خرجنا بمجموعة من النتائج أهمها:

- إن المنهج السيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني، وهذا لا يعني أن المناهج الأخرى قاصرة، بل كل منهج يركز على جانب ما، وما يميز السيميائية أنها لا تكتفي بالظاهر وإنما تهتم بالتأويل والدلالة.

- المقامة البغدادية عكست ظروف عصر الوهراني، خاصة في الجوانب السياسية، وبيّنت تنوع ثقافته وسعة اطلاعه.

- الوهراني شخصية متعددة الجوانب كما يظهر من مؤلفه، فهو كاتب وشاعر.

- تعد كتاباته من أولى التجارب في الأدب الجزائري، والتي أعطت دفعا متميزا للأسلوب في الأدب العربي.

- كان الوهراني حقا مبدعا ومتميزا، وقد يكون من أسباب إبداعه، هجرته من المغرب إلى المشرق، والإخفاق الذي حدث له هناك، ومخيلته الواسعة، واختلاف جوانب ثقافته.

- مما يميز مقامات الوهراني اختلاف أسلوبه، فنجد نصوصه كثيرة الاقتباسات، والاستشهادات من الأشعار والأمثال، والتناص بين مقاماته ومقامات الهمذاني، كما نجد له أسلوبا ساخرا، إلا أنه أبدع عندما جمع بين هذه الخصائص، وأصبح له طابع خاص.

فنقترح على الدارسين أن ينفذوا الغبار عن نصوص الوهراني، فهي متعددة بين منامات ورسائل ومقامات، لأنها ثرية بمواضيعها غنية بدلالاتها، كما أنها تربط الماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة، وأن تكون تلك الدراسات متنوعة تشمل الشكل والمضمون وتدرس الظاهرة في إطارها الأفقي والعمودي، لأن كل هذه الجوانب تتصل ببعضها بطريقة أو بأخرى، فالأدبي له علاقة باللغوي، والمنهج النفسي له علاقة بالاجتماعي، والاجتماعي له علاقة بالتاريخي...وهكذا.

-المراجع:

- القرآن الكريم.

1- عبد الله إبراهيم، (1992)، السردية العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

2- حميد لحمداني، (1991)، بنية النص السردي، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

- 3 - ابن خلكان، (1994)، وفيات الأعيان، تج: إحسان عباس، دط، ج4، بيروت: دار صادر.
- 4- ركن الدين محمد الوهراني، (2007)، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تج: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة وتقديم عبد العزيز الأهواني، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر: صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
- 5- شوقي ضيف، (1994)، المقامة، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- 6 - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (دت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، ج6، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- 7- عمر بن قينة، (2007)، فن المقامات في الأدب العربي الجزائري، دط، الجزائر: دار المعرفة.
- 8 - مجموعة مؤلفين، (1988)، المنجد الأبجدي، ط6، بيروت: دار المشرق.
- 9 - عبد المجيد العابد، (يناير 2009)، «النقل الديداتيكي للمفاهيم السيميائية»، مجلة علوم التربية، دورية مغربية متخصصة، المغرب، ع39.
- 10 - محمد عزام، (2003)، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دط، دمشق: اتحاد كتاب العرب .
- 11- مصطفى عطية جمعة، (2006)، أشكال السرد، ط1، القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر.
- 12- ابن منظور، (1981)، لسان العرب، تج: مجموعة من الباحثين، دط، م5، القاهرة: دار المعارف.

الهوامش:

- 1- عمر بن قينة، (2007)، فن المقامات في الأدب العربي الجزائري، دط، الجزائر: دار المعرفة، ص57-58.
- 2 - ابن منظور، (1981)، لسان العرب، تج: مجموعة من الباحثين، دط، م5، القاهرة: دار المعارف، ص3781.
- 3 - شوقي ضيف، (1994)، المقامة، ط2، القاهرة: دار المعارف، ص8.
- 4- عبد الله إبراهيم، (1992)، السردية العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي، ص175.
- 5 - ابن خلكان، (1994)، وفيات الأعيان، تج: إحسان عباس، دط، ج4، بيروت: دار صادر، ص385-386.
- 6 - عبد المجيد العابد، (يناير 2009)، «النقل الديداتيكي للمفاهيم السيميائية»، مجلة علوم التربية، دورية مغربية متخصصة، المغرب، ع39، ص120-128.
- 7- سورة الأنبياء، الآية 104.
- 8- سورة يوسف، الآية 99.
- 9- سورة إبراهيم، الآية 25 .
- 10- ركن الدين محمد الوهراني، (2007)، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تج: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مراجعة وتقديم عبد العزيز الأهواني، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر: صدر الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، انظر الهوامش، ص2.
- 11- مجموعة مؤلفين، (1988)، المنجد الأبجدي، ط6، بيروت: دار المشرق، ص1025.
- 12- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، (دت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دط، ج6، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص31.
- 13- حميد لحمداني، (1991)، بنية النص السرد، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص56.

- 14- المرجع السابق، ص 62.
- 15- المرجع نفسه ، ص 65.
- 16- محمد عزام، (2003)، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، دط، دمشق: اتحاد كتاب العرب ، ص 199.
- 17- مصطفى عطية جمعة، (2006)، أشكال السرد، ط 1، القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ص 384.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

ضيف الله الصافي، (2024) المقامة البغدادية للوهراني – دراسة سيميائية ، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، المجلد 16 (العدد 02)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص ص 16-27.